النص الموجه للطفل وخصوصيات الكتابة الدرامية للأطفال

* مسرح الطفل والفئة المستهدفة

اولاً / الفئات المستهدفة ومراحل النمو

أ. الطفولة المبكرة من 3 إلى 6 سنوات

يرى بعض التربويين أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل هي المدة التي تستقر بها أسس التربية الأولى فكل ما يفعله الوالدان في هذه المدة تمثل 90 % من عملية التربية وكما أنه في هذه المرحلة يشتد ميله إلى المحاكاة والتقليد والتمثيل وإن الأطفال في هذه المرحلة يفكرون بأيديهم وأرجلهم أكثر مما يفكرون بعقولهم وهذا يستدعي دفع الأطفال إلى التمثيل والخطابة وتنمية هوايتهم الحركية.

وتتسم المسرحية لهذه المرحلة على أنها:

1. تعتمد أساسا على الحركة أكثر منها على الكلام.
2. تجري الأحداث في عالم الحيوانات والطيور.
3. تجري الرموز المتحركة والكارتون.
4. تكون مبسطة واضحة تعتمد على محسوسات وتكون مشوقة.
5. فيها نوع من الإبهار في الإضاءة والألوان والأزياء والأشكال الأخرى.

ب. مرحلة الطفولة المتوسطة من 7 إلى 9 سنوات

في هذه المرحلة يكون الطفل قد اجتاز جانب التعرف على محيطه وانطلق إلى عالم أرحب فيه شيء من الاستقلالية عن الوالدين وزيادة في الثقة وتبدأ ملكة الخيال لديه بالتطور فيصبح متولعا بعالم الأساطير والخرافات التي تجدها في القصص الخرافية والقصص الشعبية ومن أهم سمات المسرحية في هذه المرحلة:

1. أنها خيالية.
2. مستمدة من البيئة الاجتماعية.
3. تشمل على نوع من التوجيه التربوي والاجتماعي الذي يؤكد القيم الاجتماعية بشكل غير مباشر.
4. تحتوي على نوع من المغامرة.
5. تحتوي على أسلوب واضح وفكرة بسيطة.

ج. مرحلة الطفولة العليا من 10 إلى 12 سنة

ينتقل الطفل فيها من عالم الخيال إلى عالم أكثر واقعية ويفهم المفاهيم المعقدة ويصبح لديه القدرة على تحمل المسؤولية والتحكم في انفعالاته التي تقدم قصص الشجاعة والمعاصرة ومشاهدة المسرح كوسيلة تعبيرية ففيه يمكنهم من متابعة الحبكة المسرحية الأكثر تركيبا وتشابكا ويميلون إلى الاستهواء والإعجاب وتقبل الآراء من الآخرين ومن أعجاب الطفل أو يقدروهم دون نقد أو مناقشة.

ومن أهم سمات المسرحية في هذه المرحلة :

1. البطولة والشجاعة والواقعية.
2. المعلومات العلمية.
3. الطابع التربوي والاجتماعي وتأكيد القيم الدينية والأخلاقية والانتماء القومي بأسلوب غير مباشر.

د. مرحلة المراهقة من 13 إلى 15 سنة

ينتقل الطفل في هذه المرحلة إلى حالة الاستقرار العاطفي النسبي التي يسميها علماء النفس (مرحلة التكون) إلى مرحلة شد وتعقيد أو حساسية التي يتدرج فيها الطفل من الطفولة إلى الرشد والنضوج – وأهم سمات المسرحية في هذه المرحلة :

1. تأكيد المثل العليا.
2. تكون ذات أهداف تربوية.
3. تتضمن معلومات تاريخية ومخاطبة العقل.

* التلقي عند الاطفال

تبدا عملية الاستجابة بالإدراك وخلال الادراك تكون هناك احاطة بالمدركات(سمعية، بصرية.. الخ) ثم يميز بين المدركات أي تحليلها الى مكوناتها الاساسية ثم اعادة تركيبها في مكون كلي جديد، وتختلف طرائق الادراك فيما بينها باختلاف الحواس ويختلف اسلوب الادراك البصري عن السمعي، فالأول يبدأ من الادراك الكلي للمثير او العمل المدرك ثم يتجه الى الاجزاء ثم يعود بعد ذلك الى الكل الذي يكون كلا جديدا، ليس ه و الكل الذي بدأت به هذه العملية. والاستجابة الجمالية هي استجابة الفرد للمثيرات الجمالية استجابة تتفق على مستوى محدد من الجودة في الفن.

ان استجابة الطفل المتلقي للعرض المسرحي استجابة بريئة ساذجة توحد في ثقة بين الواقع وبين ما يراه في العرض المسرحي ولكن ك لما ازدادت خبرات المتلقي تحولت استجابته الى الفهم المتعاطف أي الادراك الفكري للموقف المعروض.

فملاحظة الطفل للآخرين في مواقف محبطة مثيرة لليأس ومشاهدة كيفية تغلبهم عليها وخروجهم منها يمنحنه فرصة لمراجعة استجاباته الانفعالية واستراتيجياته السلوكية الخاصة، بحيث يصبح اكثر كفاءة في مواجهة أي شيء مماثل قد يحدث لنا في المستقبل.
لذا فان فاعلية الاستجابة في المسرح الموجه للأطفال يفترض ان ترتقي الى المشاركة الايجابية في العرض عبر طرق اتصالية متعددة كإجابة الاسئلة التي يطرحها الممثلون اثناء العرض او الاشتراك في كتابة النص اثناء البروفات ومن خلال(التغذية المرتدة) يمكن ضبط عملية الاستجابة عن طريق ما يصل الى المصدر من معلومات مرسلة من المتلقي حول نجاح العرض او اخفاقه مما يمهد له ضبط الرسالة المقبلة.
ان ما يحتاج اليه الاطفال في هذه المرحلة العمرية (12-10) ليس ذلك التفكير المنطقي المنظم بل هو مجرد نوع من الاستغراق الخاص في الوسائط الخاصة بالفنون، وايضا حوار بين شعوره الخاص بالحياة والموضوعات الفنية التي تحيط به . يجب ان يتعلم الاطفال لكن ليس عن طريق التلقين اذ أن كل ما علينا ان نفعله هو تنظيم مسرحيتنا بطريقة لا نقول لهم فيها أي شيء بل نتركهم يستنبطون ذلك مع اكثر ما يمكن استحصاله منهم بالمشاركة مع النماذج السلوكية التي نريدهم ان يتبعوها.
ففي هذه المرحلة يصبح الاطفال اكثر اتقانا لقواعد لغتهم وللأنظمة الرمزية الاخرى في ثقافتهم، فهذه المرحلة العمرية هي الزمن المناسب الذي يذهب خلاله الاطفال الى ما وراء القراءات الحرفية للكلمات والصور والاغاني ويهتمون بالجوانب الاشارية والاكثر تعبيرية من هذه الرموز، ويفهمون الحبكة، أي ان الاحداث تحركها دوافع معينة تؤدي بمساراتها الى الصراع او لحل الصراع.
إن الطفل في هذه المرحلة (12-10) يحاول تقليد سلوك وحركات البطل الحائز على اعجابه اكثر من محاولته تقليد سلوك وكلام وحركات زملاءه واقرانه المقربين.
ويكون كذلك واعيا بالخط الفاصل بين الواقع والخيال ، وتذكر القصص بدقة وان يعيد حكيها بكفاءة ويقوم بتنبؤات معقولة حول ما سيحدث للشخصيات، ويذهب الان الى ما وراء الحبكة الظاهرية ويهتم بالأسلوب والتعبير والتكوين الخاص بالعمل بل ينتج المحاكاة التهكمية، كما يتذوق الانحرافات او الازاحات التي تحدث في الاشكال المألوفة من المسرحيات.
كما ان الاطفال يحاكون سلوك النماذج الاكثر نجاحا، وعندما يكافؤون لمحاكاة الاحكام الاخلاقية للنموذج يغيرون من احكامهم الاخلاقية ليصبحوا مثل النموذج فالأشخاص الجميلون وذوي الخطوة الاجتماعية والاكفاء والاقوياء فانهم ينتزعون محاكاة الاخرين لهم اكثر من النماذج التي لا تمتلك هذه الصفات.
ويفترض بالنتاج الابداعي أي كان نوعه سواء للكبار او للأطفال ان يتوفر على مجموعة من الخصائص لكي تستدعي الاستجابة الجمالية وهذه الخصائص:

- اللاعتيادية : وهي تثير الدهشة في الملاحظ لان الاستثنائي يجذب العين لوجود شيء غير متوقع فيه يحدث فينا هزة تشد تفكيرنا.
- الملائمة : وهي تستدعي استجابة الارضاء والاشباع التي تكون مماثلة للشعور بالارتياح العام.
- قوة تحويل الواقع : التتابع الذي يتميز بهذه الخاصية يمتلك فعل الاثارة لدى الملاحظ وتغيير طريقته في ادراك العالم والتفكير به، أي تتطلب من الملاحظ تمثيل واستيعاب النتاج وضمه الى عالمه.
- تكثيف المعنى : ومثل هذا النتاج يحمل الايجاز أي كفاءة الاستيعاب التي تحوي عناصر جوهرية تستدعي العديد من التأملات والتفسيرات ويكون الملاحظ مدعوا هنا لتذوق نكهته الخاصة بهذا التكثيف.

خصوصيات الكتابة الدرامية للأطفال

من غير الحكمة على الإطلاق استسهال الكتابة للأطفال، فأدب الطفل فن صعب، صعوبة الولوج إلى عوالم الطفولة، ولعل أصعب أنواع هذه الفنون، فن كتابة المسرحية الموجهة للطفل، لأهمية كل عنصر من عناصر المسرحية ودقته: لغة، وحواراً، وشخصيات، وحكاية.. إلخ

- اللغة

البساطة أهم سمة من سمات لغة نص مسرح الطفل، وهذا الأمر يتطلب من الكاتب استخدام لغة غير معقدة أو مبهمة؛ بل مستقاة من قاموس الأطفال اللغوي، ومنسجمة مع قدراتهم العقلية، وحاجاتهم النفسية، ليس بغية الفهم المباشر للنص، أو العرض فحسب؛ بل من أجل الاندماج والتواصل معهما أيضاً، من دون اللجوء إلى التبسيط الذي سيعود بالضرر على الأطفال : لغة. ووعياً. وذوقاً.

- الحوار

يعدّ الحوار كيان النص المسرحي، فبواسطته تسرد الحكاية، ومن خلاله تتكشف معالم الشخصية وتتطور، ومن دونه لا يتنامى الحدث، ولا يتكامل الصراع، ولا تصل المعلومات إلى الطفل القارئ، والحوار الجيد في مسرح الطفل هو: الحوار الواضح، الدقيق بلا إطالة، جمله وعباراته مختصرة من دون مغالاة، يلجأ الكاتب أحياناً إلى تكراره في بعض الأماكن، بقصد إمتاع القارئ والمتفرج الصغير، ومساعدته على الاندماج والتنبؤ بمصير الشخصيات والأحداث في المسرحية.. ومن المستحسن أن يركز الحوار على أمرين هامين:

1- التعبير عن الشخصيات : عمرها. مكانتها. ثقافتها. معاناتها.
2- الحركة : ويعدّ الحوار فعلاً من الأفعال، ومظهراً حسياً للمسرحية، لذلك، فإن قوته تكمن في حركته.

- الحكاية

الشغف بالحكايات ميل إنساني عام، يتصف به الكبير والصغير، الجاهل وغير الجاهل، والتزام كاتب مسرح الطفل بها ضرورة واجبة، بحيث تكون الحكاية، ومهما كان موضوعها، واضحة، بسيطة، محبوكة بإتقان، لتزيد من جذب انتباه المتفرج الصغير. والحكايات الشعبية نبعثر، يمكن أن ينهل منها الكاتب الكثير مما هو مناسب لأطفال اليوم، و يمسرحها، مراعياً بعض الشروط الضرورية مثل:

1. حسن اختيار النص.
2. الموضوعات يجب أن تكون مرحة.خفيفة.
3. تتميز بالحركة.
4. أن تكون قريبة من الأولاد وحياتهم.
5. أن تكون سهلة اللغة.
6. أن تتضمن بعض الأعاجيب والخوارق.